التصحيح النموذجي لامتحان السداسي الثاني في مقياس: تاريخ موريتانيا المعاصر

الجواب الأول:(10 ن)

01-إن دواعي تأخر التوسع الترابي الفرنسي في موريتانيا بحاجة إلى أن تستجلى بعض غوامضه، ولعل من أولى المصادرات في هذا المجال:

*غياب المغريات الاقتصادية بعد أفول تجارة العلك وتحول مراكز الثقل الاقتصادي من حوض نهر السينغال إلى كايور في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتأكيد أصحاب الرحلات الكشفية على فقر المنطقة الشديد في مجال الثروة الطبيعية.

*تركز الاهتمام طيلة الثلث الأخير من القرن 19م على احتلال السودان النيجري وثروته الأسطورية من المعادن الثمينة (ذهب الباسبوك...) والامكانيات التجارية الهامة، حتى أصبحت المسيرة نحو النيجر المفتاح السحري للتمركز الفرنسي في المنطقة.

*طبيعة قادة السينغال البحرية التي قد تفسر رهبتهم من الصحراء وميلهم إلى سياسة " نقاط الارتكاز" وسلوك مجاري الأنهار نحو المناطق الداخلية من القارة.

*ارتباط التوسع في موريتانيا بمضاعفات القضية المغربية التي لم يحل التنافس المحموم بشأنها بين كبريات الدول الاستعمارية قبل مطلع القرن العشرين.

02-لقد عرفت البلاد الموريتانية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تحولات سياسية واقتصادية هامة امتازت بصراع كبير بين القوى الأوربية... انتهى بمشروع الاحتلال الذي قدمه **اكزافيي كبولاني** سنة 1899.

أ- التعريف باكزافيي كبولاني*Xavier Coppolani* : من مواليد جزيرة كورسيكا سنة 1866، وقد غادرها وعمره أربعة عشرة سنة (14) سنة إلى الجزائر حيث تربى وتعلم اللغة العربية واختلط بالعرف وآدابهم وتعرف على شريعة الإسلام، ونفعه ذلك في ميله إلى البحث والاطلاع، وقد تخصص في الطرق الصوفية؛ وأصدر مع ديبون عام 1897 كتابا أسماه " **الطرق الدينية الإسلامية"**، حيث عمل كبولاني على التقريب بين فرنسا والإسلام مروجا لفكرة التعامل بتسامح مع المسلمين والعمل على كسب ود المشايخ الدينيين. تقلد وظائف عديدة استهلها ككاتب مراسل بمقاطعة قسنطينة ثم بعد ذلك كاتب لبلدية " واد الشرق" بداية من 15 أفريل 1885، ثم التحق فيما بعد بالحكومة العامة لمنطقة غرب افريقيا بداية من 15 ديسمبر 1895 أين تم تعيينه في منصب مساعد إداري سنة 1896، منح لقب وصفة مقيم ببلاد البيضان مكلف بدراسة سبل إدارتها السياسية والإدارية، وفي جوان 1902م صدر مرسوم يعين كوبولاني أمينا عاما لمستعمرات الفئة الثانية مكلفا بقسم الدراسات الإسلامية والصحراوية، ثم عين من قبل الوالي العام فريقيا الغربية مفوضا عاما لموريتانيا في أكتوبر 1902، وقد قام بوضع تصور لاحتلال ما أطلق عليه اسم موريتانيا السفلى (الترارزة والبراكنة وتكانت وآدرار) سلميا. وفي ماي 1903 تم تعيين كوبولاني مندوبا للوالي العام في موريتانيا ومكلفا بالضرائب والعدل في مستعمرة الترارزة. توفي في 12 ماي 1905م.

ب- طبيعة المشروع الاحتلالي: يجسد المشروع الاستعماري الذي قاده المنظر والمستشرق كوبولاني؛ غزوا يعتمد على القوة الناعمة والديبلوماسية أي التوغل والإخضاع السلمي بدلا من الحملات العسكرية، وهذا بحكم تكوينه واهتمامه المبكر بالدراسات الإسلامية وسعة اطلاعه، لذلك كان المؤهل للقيام بمهمة وضع مشروع احتلال أرض البيضان، وكانت تلك البداية لدخوله تاريخ الاستعمار من بابه الواسع كفاعل أساسي، لقد كلف ***Xavier Coppolani*** سنة 1899 من طرف والي السودان الجنرال **دي ترانتينيان** للقيام بمهمة في السودان والساحل الجنوبي، بهدف إجراء بعض الاتصالات مع رؤوساء القبائل هناك، وإقناعهم بجدوائية الخضوع لفرنسا، واطلاعهم على الدوافع الإنسانية التي تدفع فرنسا إلى مواصلة مسيرتها نحو الشمال، وجعلهم يعلنون انقيادهم بطريقة سلمية، وبفضل حنكته السياسية وخبرته بكل أشكال وسائل الدعاية والإغراء فقد نجح كوبولاني في إخضاع الكثير من القبائل التي زارها، وفي أعقاب هذه المهمة قدم كوبولاني تقريرا مفصلا حول المناطق التي جابها، كما تحدث عن الأنماط المعيشية لسكانها، وأورد اقتراحا بإنشاء ما يسمى **بموريتانيا الغربية** واخضاعها للنفوذ الفرنسي. ويشمل المشروع الذي صادقت عليه وزارة المستعمرات في ديسمبر 1899م؛ احتلال الأقاليم والمناطق التي يسكنها البيضان، والممتدة من الضفة اليمنى بنهر السينغال، والأماكن الواقعة بين خاي وتمبكتو حتى رأس جيبي غربا أي حتى تخوم المغرب ومن الشمال حتى جنوب الجزائر، وجمع هذه الأقاليم في مكونة استعمارية خاصة.

-**العقبات والتحديات:** واجه المشروع معارضة واسعة من طرف التجار الفرنسيين في سان لويس، الذين كانوا لا يرون فيه سوى مغامرة مضرة بمصالحهم التجارية، كما عارض الوالي العام في السينغال هذا المشروع؛ لأنه كان يعتبر أن احتلال موريتانيا مسألة سابقة لأوانها، وتحمل مخاطر جسيمة على الأمن والسلم في منطقة حوض النهر، ويضاف إلى ذلك أن وزير الخارجية الفرنسي **ديلكاسي** كان هو الآخر يعارض مشروع الاحتلال لكونه حسب تعبيره يشمل مناطق نفوذ مشتركة بين الحكومة الفرنسية والحكومة الإسبانية، وبالرغم من كل هذه المعارضة لمشروع احتلال الأراضي الموريتانية، فقد تمكن كوبولاني من عرض الفكرة مرة ثانية على وزارة المستعمرات في 10 مارس 1899- حيث قام بتقديم مشروع أصغر يستثني وادي الذهب من خطة الاحتلال-، وحصل من جديد على موافقة وزير الخارجية آنذاك في 27 ديسمبر 1899...

ج-مدى نجاح كوبولاني في تحقيق أهدافه الاستعمارية:

حقق الإداري والمستشرق الفرنسي كزافييي كوبولاني نجاحا جزئيا ومرحليا كبيرا في مشروعه الاستعماري في موريتانيا، لكن هذا المشروع انتهى بفشل استراتيجي مباغت أودى بحياته عام 1905 قبل اكتماله. ومن جوانب النجاح : تأسيس الكيان الموريتاني (موريتانيا الغربية)، وجعلها مستعمرة مدنية في 18 اكتوبر 1904، السيطرة بالقوة الناعمة دون خسائر مادية على إمارتي الترارزة والبراكنة ووضعها تحت تحت الحماية الفرنسية، واختراق البني القبلية وكسب تحالف القوى المحلية من الزعامات الروحية والاجتماعية (**الشيخ سيديا والشيخ سعد بوه**)، حيث قدم للاستعمار غطاء شرعيا أنه جاء لحقن الماء وفرض الأمن، ورغم فإن جوانب القصور والفشل كانت واضحة والتي تجلت مقاومة مسلحة عنيفة قادها أمراء وشيوخ مثل الأمير بكار ولد اسويد أحمد، والشيخ ماء العينين، والمؤشر الثاني نهايته واغتياله على يد مجموعة فدائية في تجكجة 12 ماي 1905، وليأتي بعدها التحول الإجباري نحو الخيار العسكري كدلالة على انهيار التغلغل السلمي.

أولا-الجواب الثاني (10ن):

01-مع مطلع القرن العشرين، وفي ضوء متغيرات جديدة، احتدم الجدال الفقهي بين قادة الرأي وكبار العلماء والمتصوفة بشأن الموقف الشرعي من وجود الفرنسيين في البلاد، فرأى البعض أنه ضرورة لأمن البلاد وصون لدماء العباد ومصلحة عليا من مصالح المسلمين، وإلى ذلك ذهب الشيخان باب ولد الشيخ سيديا وسعد بوه بن الشيخ محمد فاضل وغيرهما من قادرية القبول. وفي مواجهة هذا التيار برزت رؤية أخرى نظر لها وتزعمها الشيخ ماء العينين وأبناء مايابا والشيخ سيد المختار ولد أحمد الهادي والشيخ عبد لجليل ولد الشيخ القاضي وابن حبت وغيرهم ودعت إلى الجهاد أو الهجرة؛ ومثلت المرجع الفكري للمقاومة، ثم تعززت لاحقا بتجربة الشيخ أحمد حماه الله وخطه الجهادي المعلن.

02- الواقع أن المقاومة العسكرية في مناطق الجنوب الغربي الموريتاني لا سيما في أراضي الترارزة والبراكنة مطلع القرن العشرين، لم تكن في مستوى الحدث الاستعماري وكانت إسهاماتها محدودة، ويرجع ذلك إلى مجموعة من أهمها: التأثير الكبير لبعض شيوخ الطريقة القادرية الذين أعلنوا منذ البداية مهادنهم لفرنسا، والذين أفتوا بجواز بل وجوب التعاون معها، بغية تحقيق الأمن وضمان العدالة على حد رأيهم، وكان طبيعيا أ، تجد فتاويهم المهادنة صداها في تلك الربوع لا سيما أن معظم السكان واقعون تحت تأثير الطريقة القادرية ويدين أكثرهم بالولاء لهؤلاء الشيوخ. والعامل الثاني هو تراجع قوة إمارتي الترارزة والبراكنة اللتين كانتا تعيشان منذ العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر أزمة داخلية متمثلة في الركود الاقتصادي والتفكك السياسي، والصراع على السلطة، وبحلول القرن العشرين بلغتا من الوهن وهشاشة النظام ما أفسح المجال أمام الفرنسيين للتدخل في شؤونها الداخلية، تضاف إلى هذين العاملين طبيعة تضاريس المنطقة المكشوفة التي جعلت من لمواجهة أمرا صعبا، ومحفوفا بالمخاطر.

03-اتسمت المقاومة المسلحة الموريتانية في ضوء التحولات المرحلية بجملة من المميزات يمكن حصرها فيما يلي:

* الحضور القوي للخط الجهادي كعقيدة عسكرية في أغلب مراحل المقاومة في المجال الموريتاني وفي المناطق المحاذية

* الفارق الكبير في التسليح بين المقاومين وكتائب الجيش الفرنسي حيث أن فرق المقاومة تعتمد على بنادق تقليدية محلية الصنع، في حين كان أفراد الوحدات الفرنسية، سواء منهم المتعاونون أو الجنود النظاميون مزودين بالكامل ببنادق سريعة الطلق، بالإضافة إلى سلاح الردع الفرنسي؛ الرشاش الذي ألحق خسائر كبيرة بالمقاومين لا سيما في الميادين المكشوفة.

*شكل هذا الفارق النوعي الكبير في التسليح عاملا حاسما في المعارك بين الطرفين... وشكلت معرفة الميدان والحاضنات الشعبية ميزات من نوعية للمجاهدين الذين أحسنوا توظيف الجغرافيا وشبكة الأمان التي أقامتها القبائل البدوية لوفير التموين وتأمين المعلومات.

*الوجود المكثف للعلماء والأمراء والقيادات العشائرية في مقدمة ركب المقاومة وفي أغلب معاركها في عموم التراب الموريتاني، غير أن ذلك لا يعني بالتأكيد غياب فئات المجتمع الأخرى التي ساهمت في هذا المجهود الوطني بحسب قابلياتها ووظيفتها الاجتماعية...

*الدور المحوري للشيخ ماء العينين وأبنائه ومريديه، والشريف ولد مولاي الزين ورفاقه، وأمراء إدوعيش واشترايت وأمير آدرار، وبعض أمراء الترارزة والبراكنة وبعض قبائل الرقيبة والحوض وتكانت وآدرار والساحل وسكان فوته، في قيادة وتأطير المجهود الحربي، وتأمين السلاح للمقاومين، وربط الصلات بين مجاميعهم وتوفير الملاذات الآمنة لهم في أوقات الحرب والسلم مما عزز قدراتهم القتالية وساهم في رفع معنوياتهم.

*استمرت المقاومة الموريتانية عدة عقود، وتعددت وتنوعت أساليبها على امتداد المجال الموريتاني حيث اتخذت أشكالا مختلفة من الصولات المباغتة، والغارات الخاطفة، والكمائن المحكمة والالتحام المباشر، والحصار، وحرب الاستنزاف والممانعة الاجتماعية، ورفض الخدمة العسكرية، والمقاطعة الثقافية، والحصار الاقتصادي، وتسميم الآبار، والهجرات الفردية والجماعية من البلاد التي غلب عليها النصارى.

*المستوى النوعي لمعارك المقاومة الموريتانية التي تجاوزت المائة، واستشهد فيها نصف أمراء البلاد يومها، وأهم قادتها العشائريين والمئات من المجاهدين، غير أن خسائر الفرنسيين كانت كبيرة فقد قتل قائد جيش الاحتلال ومنظر المشروع الاستعماري كبولاني مع عشرات من قادته الميدانيين ومئات من جنوده كما حدث في ميت وبوكادوم وتجكجة والنيملان ولقوشيشي وتشيت ولبيرات وأم التونسي...

04-أسباب توقف المقاومة الموريتانية المسلحة منتصف الثلاثينات: لعل شراسة المعارك التي شهدتها الساحة الموريتانية سنة 1932 كانت بمثابة النهاية للمقاومة الموريتانية، حيث توافرت عوامل طبيعية وعسكرية وسياسية جعلت من مواصلتها أمرا مستحيلا، ويمكن حصرها فيما يلي:

*أدرك الفرنسيون أن ما يواجهونه مقاومة وطنية حقيقية وليست عمليات لصوصية معزولة بل حركة مقاومة وجهاد لذلك سلكوا أسلوبا يعتمد على الضغط على قبائلهم لمنعهم من المشاركة في العمليات وعزلهم في بيئتهم.

*تركزت حركة الرفض في فترتها الأخيرة في مناطق أقصى الشمال ولم يعد بوسع المقاومين التزود في سنوات الجدب من آدرار والساقية الحمراء لأنهما أصبحتا في قبضة الاستعمار الفرنسي والإسباني. وهو ما اضطر القبائل إلى النزوح جنوبا طلبا للمراعي والانتجاع فاستغل الفرنسيون هذه الجرة وشجعوها وتقبلوا عروض المسالمة بشروط القبائل.

*أحكم الفرنسيون بالتعاون مع الإسبان تطويق المنطقة لقطع الإمدادات العسكرية والمواد الغذائية عنها، ولهذا الغرض أنشأوا مراكز عسكرية على مشارف الصحراء وتخومها.

* جند الاستعمار من قبل من أهل البلاد التعاون وكون فرق متنقلة تقتفي آثر المقاومين ...كما أصبح للتكنولوجيا دورها في الحرب حيث ظهرت الطائرات وأصبحت تشارك في العمليات العسكرية في الصحراء.

*طغيان الخلافات والنزاعات بين القبائل مما حال بينها وبين الاتحاد في وجه المستعمر، وترجع هذه الخلافات في أكثر الأحيان إلى العصبية العمياء، والتي كان يغذيها المستعمر ونادرا ما كانت بسبب اختلاف حقيقي في المصالح.

*إن الحالة العامة في العالم في هذه الفترة والأوضاع السياسية في مختلف البلدان المستعمرة قد مالت إلى المسالمة والموادعة واتباع أساليب أخرى لطرد المحتل حين عجزت المقاومة العسكرية. وظلت تلك الروح سائدة إلى أن تغيرت الأوضاع الدولية على إثر الحرب العالمية الثانية... وللأسباب السابقة وغيرها توقفت المقاومة المسلحة، ودخل الناس أفواج وزرافات في سلم المستعمر وسجلوا في سجلاته المدنية فسميت سنة 1933-1934 في الشمال عام " **المكاتبية**".